بسم الله الرحمن الرحيم

فوالله لا نذر هذه البيعة ، ولا نستقيلها

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين وامام الموحدين وعلى اله وصحبه اجمعين.
وبعد...

لقد كانت بيعة العقبة الثانية الاساس الذي بني عليه دولة الاسلام الذي امتدت من مشارق الارض الى مغاربها ولقد امتلأت بيعة العقبة الكبرى بالعبر والدروس على مر التاريخ من التضحية والوفاء والايثار وغيرها من فضائل ومكارم الاخلاق.

جاء موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة يحمل الخير كله. خرج وفد يثرب للحج، وكان الوفد مكونًا من ثلاثمائة حاج وقيل خمسمائة، منهم خمسة وسبعون من المسلمين (ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان).

وصل وفد يثرب إلى مكة، واستقروا بها، وأخذوا يرتبون إقامتهم هناك، وكانوا على موعد مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم منذ بيعة العقبة الأولى في العام السابق، والتي اشتملت على أمور عقائدية ومطالب أخلاقية كالبعد عن الزنا والسرقة، فكانت كلها تكليفات فردية، ولم يكن فيها أية مطالب بالنصرة واستضافة الرسول صلى الله عليه واله وسلم ، فضلاً عن حمايته، والقتال في سبيل ذلك لو تطلب الأمر، وذلك مراعاةً من النبي صلى الله عليه واله وسلم لقدرة الأنصار الاثني عشر المشاركين في البيعة الأولى، والتي مهما عظمت فهي محدودة.

يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه وهو يصف كلام الأنصار وهم في المدينة قبل الخروج إلى مكة، يقول جابر رضي الله عنه فقلنا: حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يُطرد في جبال مكة ويخاف؟! فرحل إليه منا ثلاثة وسبعون رجلاً.

وفي الطريق إلى مكة، قام الأنصار بدعوة البراء بن معرور إلى الإسلام وكان سيدًا من سادتهم، فقبل الإسلام ، يقول كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه:
خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسول الله بالعقبة من أوسط أيام التشريق وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ،

سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا _ وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا _ فكلمناه ، وقلنا له : يا أبا جابر ، إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ، ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله إيانا العقبة ، قال : فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيباً

·قال كعب : ((فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله، نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من نسائنا ، نسيبة بنت كعب _ أم عمارة _ من بني مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو _ أم منيع _ من بني سلمة((

فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله حتى جاءنا ، ومعه (عمه) العباس عبد المطلب _ وهو يومئذ على دين قومه _ إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه وتوثق له ، وكان أول متكلم.

بداية المحادثة وتشريح العباس لخطورة المسئولية

وبعد أن تكامل المجلس بدأت المحادثات لإبرام التحالف الديني والعسكري وكان أول المتكلمين هو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله .تكلم ليشرح لهم _ بكل صراحة _ خطورة المسؤولية التي ستلقى على كواهلهم نتيجة هذا التحالف قال:

((يا معشر الخزرج _ وكان العرب يسمون الأنصار خزرجاً ، خزرجها وأوسها كليهما _ إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم والحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده))

قال كعب : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

وهذا الجواب يدل على ما كانوا عليه من عزم وتصميم وشجاعة وإيمان وإخلاص في تحمل المسؤولية العظيمة ، وتحمل عواقبها الخطيرة.

وقد روى الإمام أحمد عن جابر مفصلاً . قال جابر : قلنا : يا رسول الله على ما نبايعك ؟ قال:

1- على السمع والطاعة في النشاط والكسل.
2- وعلى النفقة في العسر واليسر.
3- وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
4- وعلى أن تقوموا في الله ، لا تأخذكم في الله لومة لائم.
5- وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم ، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ، ولكم الجنة.

وفي رواية كعب _ التي رواها ابن إسحاق _ البند الأخير فقط من هذه البنود ، ففيه ((قال كعب . فتكلم رسول الله، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم . فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : نعم ، والذي بعثك بالحق (نبياً) لنمنعنك مما نمنع أُزُرنا منه فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة ، ورثناها كابراً (عن كابر).
قال : فاعترض القول _ والبراء يكلم رسول الله _أبو الهيثم بن التيهان ، فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً ، وإنا قاطعوها _ يعني اليهود _ فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟
قال : فتبسم رسول الله ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم.
وبعد أن تمت المحادثة حول شروط البيعة ، وأجمعوا على الشروع في عقدها قام رجلان من الرعيل الأول ممن أسلموا في مواسم سنتي 11، 12 من النبوة ، قام أحدهما تلو الآخر ، ليؤكدا للقوم خطورة المسؤولية ، حتى لا يبايعوه إلا على جلية من الأمر وليعرفا مدى استعداد القوم للتضحية ويتأكدا من ذلك.
قال ابن إسحاق : لما اجتمعوا للبيعة قال العباس بن عبادة بن نضلة : هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي في الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة.
قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا بـذلك ؟ قال : الجنة . قالوا ابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه.
وفي رواية جابر (قال) : فقمنا نبايعه ، فأخذ بيده أسعد بن زرارة _ وهو أصغر السبعين _ فقال رويداً يا أهل يثرب ، إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة ، وقتل خياركم ، وأن تعضكم السيوف ، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه ، وأجركم على الله ، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه ، فهو أعذر لكم عند الله.
قال جابر _ بعد أن حكى قول أسعد بن زرارة _ فقالوا يا أسعد ، أمط عنا يدك ، **فوالله لا نذر هذه البيعة ، ولا نستقيلها**.

وحينئذ عرف أسعد مدى استعداد القوم للتضحية في هذا السبيل ، وتأكد منه _ وكان هو الداعية الكبير مع مصعب بن عمير ، وبالطبع فكان هو الرئيس الديني على هؤلاء

المبايعين _ فكان هو السابق إلى هذه البيعة . قال ابن إسحاق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده.
وبعد ذلك بدأت البيعة العامة ، قال جابر : فقمنا إليه رجلاً رجلاً فأخذ علينا البيعة ، يعطينا بذلك الجنة.
وأما بيعة المرأتين اللتين شهدتا الوقعة فكانت قولاً . ما صافح رسول الله امرأة أجنبية قط.

اثنا عشر نقيباً

وبعد أن تمت البيعة طلب رسول الله انتخاب اثني عشر زعيماً يكونون نقباء على قومهم ، يكفلون المسؤولية عنهم في تنفيذ بنود هذه البيعة ، فقال للقوم : أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً ، ليكونوا على قومكم بما فيهم.
فتم انتخابهم في الحال ، وكانوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . وهاك أسماؤهم :-

نقباء الخزرج

1- أسعد بن زرارة بن عدس.
2- سعد بن الربيع بن عمرو.
3- عبد الله بن رواحة بن ثعلبة.
4- رافع بن مالك بن العجلان.
5- البراء بن معرور بن صخر.
6- عبد الله بن عمرو بن حرام.
7- عبادة بن الصامت بن قيس.
8- سعد بن عبادة بن دليم.
9- المنذر بن عمرو بن خنيس.

نقباء الأوس

1- أسيد بن حضير بن سماك.
2- سعد بن خيثمة بن الحارث.
3- رفاعة بن عبد المنذر بن زبير.

ولما تم انتخاب هؤلاء النقباء أخذ عليهم النبي ميثاقاً آخر بصفتهم رؤساء مسؤولين.

قال لهم : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي _ يعني المسلمين _ قالوا : نعم.
ولما تم إبرام المعاهدة ، وكان القوم على وشك الانفضاض ، اكتشفها أحد الشياطين ، وحيث جاء هذا الاكتشاف في اللحظة الأخيرة ، ولم يمكن إبلاغ زعماء قريش هذا الخبر سراً ليباغتوا المجتمعين وهم في الشعب ، قام ذلك الشيطان على مرتفع من الأرض ، وصاح بأنفذ صوت سمع قط : ((يا أهل الأخاشب _ المنازل _ هل لكم في محمد والصباة معه ؟ قد اجتمعوا على حربكم))
فقال رسول الله((هذا أزب العقبة ، أما والله يا عدو الله لأتفرغن لك)) ثم أمرهم أن ينفضوا إلى رحالهم.

استعداد الأنصار لضرب قريش

وعند سماع صوت هذا الشيطان قال العباس بن عبادة بن نضلة : ((والذي بعثك بالحق ، إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا)) فقال رسول الله :لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم ، فرجعوا وناموا حتى أصبحوا.

ولما قرع هذا الخبر آذان قريش وقعت فيهم ضجة أثارت القلاقل والأحزان ، لأنهم كانوا على معرفة تامة من عواقب مثل هذه البيعة ونتائجها بالنسبة إلى أنفسهم وأموالهم ، فما أصبحوا حتى توجه وفد كبير من زعماء مكة وأكابر مجرميها إلى مخيم أهل يثرب ، ليقدم احتجاجه الشديد على هذه المعاهدة فقد قال:
((يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم))
ولما كان مشركو الخزرج لا يعرفون شيئاً عن هذه البيعة ، لأنها تمت في سرية تامة ، وفي ظلام الليل انبعث هؤلاء المشركون يحلفون بالله : ما كان من شيء ، وما علمناه ، حتى أتوا عبد الله بن أبي سلول فجعل يقول : هذا باطل ، وما كان هذا ، وما كان قومي ليفتاتوا على مثل هذا ، لو كنت بيثرب ما صنع قومي هذا حتى يؤامروني.
أما المسلمون فنظر بعضهم إلى بعض ، ثم لاذوا بالصمت ، فلم يتحدث أحد منهم بنفي أو إثبات.
ومال زعماء قريش إلى تصديق المشركين ، فرجعوا خائبين.

تأكد الخبر لدى قريش ومطاردة المبايعين

عاد زعماء مكة وهم على شبه اليقين من كذب هذا الخبر ، لكنهم لم يزالوا يتنطسونه _ يكثرون البحث عنه ويدققون النظر فيه _ حتى تأكد لديهم أن الخبر صحيح ، والبيعة

قد تمت فعلاً . وذلك بعد ما نفر الحجيج إلى أوطانهم ، فسارع فرسانهم بمطاردة اليثربيين ، ولكن بعد فوات الأوان ، إلا أنهم تمكنوا من رؤية سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو ، فطاردوهما ، فأما المنذر فأعجز القوم ، وأما سعد فألقوا القبض عليه ، فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله ، وجعلوا يضربونه ويجرونه ويجرون شعره حتى أدخلوه مكة ، فجاء المطعم بن عدي والحارث بن حرب بن أمية فخلصاه من أيديهم . إذ كان سعد يجير لهما قوافلهما المارة بالمدينة ، وتشاورت الأنصار حين فقدوه أن يكروا إليه ، فإذا هو قد طلع عليهم ، فوصل القوم جميعاً إلى المدينة.

الهيئة الشرعية

الجماعة الاسلامية في العراق

جمادى الاخرة 1433

ايار 2012